İstanbul Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 2012, 27, 147-168

نموذج من تفاسير السياسية العثمانية؛ "نصرة الإسلام" لعبد الوهاب التِّطواني

زياد الرواشدة*

ملخص

ولد أبو محمد، عبد الوهاب بن محمد لوقش التطواني، ولد في مدينة تطوان سنة 1269هـ/ 1853م. وكان والده حريصـ على تعليمه وتحفيظه القرآن؛ فما لبث أن اشتهر بالتصوف واللغة والكلام والفقه إلى جانب تخصصه بالتفسير ؛ثم تولّى القضاء بعد ذلك، وكان إلى جانب ذلك مصلحاً اجتماعياً ، ورجلاً سياسياً يعارض حكم والي تطوان آنذاك. وكان التطّواني موالياً لسياسة الدولة العثمانية ، فقد كان يرى بها دولة الخلافة الإسلامية. فقام التِّطواني بدافع ديني بتفسير القرآن الكريم في الفترة التي شهدت فيها دولة الخلافة العثمانية العداء من الداخل والخارج . وظهر هذا التفسير بحلية البعد السياسي والإصلاح الإجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التِّطواني. الدولة العثمانية. القرآن الكريم.

***

Abstract

A Pro-Ottoman Political Tafsir : Nusrat al-Islam by Abdulwahhab al-Tıtwani

Tıtwani was born In the year 1341, Titwan, a city from the west of Morocco. Along with being an expert in tafsir (interpretation) he also knew the Arabic language, Theology and fiqh (Islamic law). He was a socialist, a reformer and a politician. He once opposed the governor of Titwan. This Titwanian man had political allies form the Ottoman government. He saw the Ottoman government under the ruling of Islamic Caliphate. Titwani wanted two things, first, for all Muslims to be one under the protection of the Ottoman government. And second, for them to stand against reasons of separation. He wrote a tafsir of the Quran during the period when the Ottoman government had enemies inside and outside of the country. Because of these reasons it can be said that the Titwanian's tafsir is about revival and politics. Along with being known for having reformist thoughts this Alim (scholar) was also an active politician.

Keywords: Titwanian. Ottoman. The Quran.

* Dr. Ziyad Alrawasdah, İstanbul Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, guller_guler@yahoo.com

Özet

"Osmanlı Taraftarı Siyâsî Bir Tefsir Örneği: Abdulvehhab et-Tıtvânî'nin "Nusratu'l-İslâm" Adlı Eseri

Muhammed Abdulvahab et-Titvani 1269 hicri 1853 miladi yılında Morocconun batısında Titwanda doğdu. Müfessirlığın yanındada Arap dili, Kelam, ve İslam hukuku da biliyordu. O bir sosyalist, devrimci, ve bir politilacıydı. Titwanyanın valisine karşı çıkmıştı. Tidvani siyaseten Osmanlı hükümetiyle aynı görüşe sahip idi. O Osmanlıyı islam ülkelerinin halifesi olarak gördü. Titwanyalı bilim adamı olarak iki şey istiyordu, birincisi, bütün Müslimanların Osmanlı hükümiyetin koruma altında olmasını, ikincisi de, islam ümmetinin bölünme sebeplerine ve nedenlerine karşı çıkmak. Kuranın tefsirini yazdığında, Osmanlının hem içerden hem dışardan düşmanları vardı. Bu sebebten dolayı, Titwanyalı müfessirin tefsiri arab isyanı ve dönemin siyaseti hakkında olduğunu söyleyebiliriz. Islahatçı fikirleriyle bilinen bu Alim, yanısıra bir de aktif politikacıydı.

Anahtar kelimeler: Titwanlı (Tatvani), Osmanlı, Kur'an.

***

أولاً :حياته ونشأته وتعليمه

هو أبو محمد، عبد الوهاب بن محمد لوقش الأُموي الأندلسي التطواني، ولد بمدينة تطوان عام 1269هـ/ 1853م، وينتمي إلى أحد البيوت التطوانية المغربية الأندلسية العريقة ، بيت أولاد لوقش، المعروف بالوجاهة والسلطة السياسية والعلم، وكان قاضياً في مدينته. [1]

ومن مؤلفاته :

1–كتاب "تفسير نصرة الإسلام"

2–"تفسير الفاتحة" : وهو تفسير مستقل متوسط الحجم يتكون من 14 صفحة وحالته جيدة ،ومازال مخطوطا.

3– "شرح الحكم العطائية" ومازال مخطوطاً.

4–"شرح عينية عبد القادر الجيلاني . " ثمار الحقيقة الإيمانية الإحسانية في شرح العينية الجيلانية القادرية " وهو مجلد كبير،ومازال مخطوطاً. ومعظم كتبه المخطوطة في التصوف.[2]

[1] – عمدة الراوين في تاريخ تطاوين. أبو العباس أحمد الرَّهوني ت 1353هـ.تحقيق.أ.د. جعفر بن الحاج السلمي.الطبعة الأولى 2001م. منشورات جمعية تطوان.أُسيمر. (1/56–57)(3/226).

[2] – مقدمة تفسير نصرة الإسلام في اخراج مقامات الدين من القرآن.لأبي محمدعبد الوهاب لوقش الأندلسي التطواني للمحقق أ.د.جعفر السُّلمي.الطبعة الأولى 2010م.تطوان.أسيمرا. (1/12).

عُرف أيضا بنشاطه السياسي، حيث كان من أعضاء (الحزب الحفيظي)، المعارض وقتئذ للسلطان المولى عبد العزيز؛ وكان من الموالين لسياسة الدولة العثمانية.

توفي رحمه الله تعالى عام 1341هـ /1925م بمدينة طنجة، التي هاجر إليها بعدما احتلت إسبانيا تطوان.[3]

لم نجد ترجمة لتاريخ المفسِّر التطواني وحياته بسبب غياب ظاهرة المؤرخين بعد وفاة مؤرخ تطوان الكبير عبد السلام سُكَيرِج (1250 هـ). وكان بعده مؤرّخ يسمى بـ(أحمد الرَّهُّوْنِيّ)وهو من أصدقاء المفسر التطواني؛ لكنّه تعمد عدم ترجمة حياة المفسر التطواني لمواقفه السياسية.

ولم تلق كتبه أية عناية بل وبقيت في ذاكرة النسيان ، وظلت محفوظة عند أحفاد التطواني حتى قام الأستاذ الدكتور جعفر السُّلَمي بالكشف عن آثاره ومؤلفاته ؛ فبدأ بتحقيق تفسيره مع زمرة من الباحثين والمتخصصين.

ثانيأ: تفسيره

أ.اسم التفسير.

جعل التطواني لتفسيره عنواناً طويلاً وهو" **تفسير نصرة الإسلام في إخراج مقامات الدين من القرآن**" . وفي تفسيره هذا يسعى التطواني إلى جمع كلمة المسلمين في الشرق والغرب تحت راية خليفة واحد للرسول (صلى الله عليه وسلم) بتحكيم القرآن الكريم كدستور للأمة.

ب.بداية البدء بكتابته.

بدأ التطواني بكتابة تفسيرة سنة 1334هـ وانتهى من كتابته سنة 1340هـ. أي قبل سنة ونصف من وفاته تقريباً ، ولا توجد لكتاب "نصرة الإسلام" إلا نسخة واحدة هي نسخة المؤلف[4] ، وإن دراسة مثل هذه النسخة تستلزم الدقة والحذر، للتثبت من صحة ألفاظها ونصوصها.[5] لأجل ذلك تحضى

[3] – عمدة الراوين في تاريخ تطاوين. أبو العباس أحمد الرَّهوني. (1/56–57)(3/226).

[4] – نفس المرجع. ج.1. ص.30.

[5] – تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره.د.عبدالمجيد دياب.دار المعارف الطبعة الثانية.1993م.القاهرة.ص 217

مثل هذه المخطوطات المكتوبة بيد مؤلفه عناية خاصة، فهي تحتل المرتبة الأولى في أصول المحققات في منازل النسخ.[6]

ولم يتوفر لدينا أي معلومات عن هذا التفسير إلا ما كتبه الأستاذ الدكتور جعفر السُّلَمي في تحقيقه لهذا التفسير المكون من عشرة مجلدات، وقد حقق منه السُّلَمي لغاية الآن مجلدين. أي أنه حقق من سورة الفاتحة إلى سورة آل عمران ، وسيخرج باقي تفسيره تباعاً برعاية (جمعية تطوان المغربية).[7]

ج. موضوع التفسير.

كان التطواني ينادي إلى تحكيم القرآن الكريم كدستور للأمة. وكان يقف ضد الاستعمار الغربي ، ويدعو المسلمين إلى الوقوف تحت لواء الدولة العثمانية؛ ويظهر حسّه الديني وحبّه لدولة الخلافة العثمانية من خلال تفسيره. كان التطواني يستغل كل آية للدعوة لنصرتها ومحاربة أعدائها، ويعد هذا التفسير تفسيراً عثمانياً للقرآن الكريم.

وقد جمع التطواني في هذا التفسير بين العلوم الشرعية والتصوف والسياسة؛ فيعدُّ تفسيره كذلك تفسيراً إشارياً كونه صوفياً ذا مرجعية درقاوية شاذلية قادرية ، وقد جعل التطواني لتفسيره مقدمتين، وتعدد المقدمات في المؤلفات نهج سلكه العلماء المغاربة في مؤلفاتهم.كابن عاشور مثلاً إذ جعل في بداية تفسيره عشرة مقدمات.[8]

وكان يسمي نفسه بـ (المهاجر) وكان يقول عن نفسه :أنه مهاجر حتى يتمكن من اللحوق بدولة الخلافة الإسلامية. وصرح في تفسيره أنه أراد الهجرة إلى عموم الدولة العثمانية دون تخصيص الحجاز وغيره ، ووصف نفسه بالمهاجر فيقول عن نفسه : " .. الحاج عبد الوهاب لوقش ، القرشي ، الأموي ، المغربي ، التطواني المهاجر بطنجة ، حتى يُمكنه إن شاء الله اللحاق بدولة نصرة خلافة الإسلام" .[9]

---

[6] – تحقيق النصوص ونشرها.عبد السلام هارون.مكتبة الخانجي القاهرة. الطبعة السابعة 1998م.ص 34

[7] – مقدمة تفسير نصرة الإسلام في اخراج مقامات الدين من القرآن.لأبي محمدعبد الوهاب لوقش الأندلسي التطواني للمحقق أ.د.جعفر السُّلمي.الطبعة الأولى 2010م.تطوان.أسيمرا. (1/ 5–10).

[8] – التحرير والتنوير.محمد الطاهر بن عاشور.الطبعة التونسية.دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م.ج 1.ص 10–101.

[9] – نصرة الإسلام.التطواني. ج.1. ص.18.

ثالثاً :علاقة تسمية التفسير بدولة الخلافة العثمانية.

يمكن تسمية تفسير التَّطواني بـ "تفسير الجامعة الإسلامية للقرآن الكريم" وأقصد بذلك أنه جاء بهذا التفسير ليوضح للمسلمين أن الدولة العثمانية هي استمرار للدول الإسلامية عبر التاريخ. وعليه؛ يجب كل المسلمين على اختلاف أعراقهم الإبتعاد عن الفرقة وأسبابها ،وعليهم الاتحاد ليكونوا دولة قوية ذات رسالة وسيادة ، وأن إدارتها لجميع الولايات في العالم الإسلامي تمثل به شرع الله تعالى ، ويتضح أن التّطواني متمسكاً بهويته الإسلامية ، معبراً عن هذا الولاء بموالاة من والاها ومعاداة من عاداها ،فملأ صفحات تفسيره بالنداءات المُناصرة لسياسيتها.فجاء مفهوم"نصرة الإسلام" عنده مساوياً لمعنى لـ "نصرة الدولة العثمانية".

يقول التطواني في مقدمة تفسيره الأولى: لما صارت الأمة المحمدية القرآنية السنية بعد ذلك مذاهب، وافترق أهل المغرب عن أهل المشرق ، وصيروا الخلافة الربانية المحمدية القرآنية ملوكا وعصبيات. فيا خليفة الإسلام عن الرسول والقرآن (الذي لم يحفظ الله الإسلام إلا به) ارجعوا الى ما تركككم عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الصراط المستقيم ؛ وهو القرآن وخليفة واحد بعد خليفة .[10]

يظهر أن التطواني في هذه الجمل يوجّه نداءً إلى الأمة (التي بدا يظهر عليها الفرقة والضعف) بالوحدة بين المسلمين وبين الدول المسلمة، كما يوجّه نداءً آخر للخلفاء والسلاطين بالالتزام بكتاب الله وخلافة رسول الله؛ لكي تبقى خلافة الإسلام مستمرة.كما يدعو إلى إصلاح جميع كوادر وقطاعات الدولة كونها أساس الدولة، فبصلاحها تصلح الأمة.

يقول التطواني في تفسير قول الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)(الأنفال 60): سواء تحت الماء أو فوق الهواء في البر أو البحر ، ومن قوة الآلات والاختراعات والرماية. " ومن رباط الخيل " ومنه المال وجمع كلمة المسلمين في خليفة واحد وطاعته، كما تشمل السياسة والصناعة والزراعة والفلاحة والتجارة وطلب العلم والعمل به ، وحفظ الدين وتفويض الأمور لله والاعتماد عليه. وكلما رجعت دولة الخلافة المحمدية إليه (النبي صلى الله عليه وسلم) والسير بسيرته ، وحاربت بمقتضاه أعداء دينها والمنتصرين عليها ، إلا قهرتهم وغلبتهم ونُصِرَت عليهم ورجع لها وللأمة شرف كمال

[10] – نصرة الإسلام.التطواني. ج.1. ص.39.

دينها وعزها وملكها نصرا وشرفا وكمالا وملكا وعزا إلى قيام الساعة إن شاء الله. وكل ما أصابها بما كسبت أيديها من مصيبه ، إنما هو من عدم العمل به وهجران مراد الله منه ، والإقبال على غيره.[11]

رابعاً :المنهجية التي سلكها التطواني في تفسيره.

فسَّرَ التطواني الجزء الأول من "تفسير نصرة الإسلام" الفاتحة، وسورة البقرة، التي قسمها إلى مجموعات تحتوي كل مجموعة ثماني آيات تقريباً. كما خرج الجزء الثاني من تفسيره لسورة آل عمران. اهتم التطواني في تفسيره بتحقيق القراءات السبع ونسبتها إلى شيوخها ، وكان بين الحين والآخر يذكر تفصيلاً للقراءات العشر كذلك عند تفسيره للآيات. فلا تمر آية إلا ضبطها بقراءاتها،كما كان يتبع أسلوب التفسير الإشاري، وكونه فقيهاً مالكياً ؛ كان يفسر آيات الأحكام فقهياً.

إلى جانب ذلك يعدُّ من علماء المذهب السني فلا تجد في تفسيره سبيلاً لفكرة اعتزالية ولو من وراء حجاب. بل يناقشها ويرد عليها ، كما يُعد من علماء الإصلاح ؛ فلا تكاد تمر آية إلا اغتنمها فرصة لإدانة القضاء والمفتين والموظفين ، وزعماء القبائل وزعماء الجهاد ، والشرفاء وشيوخ الزوايا ،كما كان يحلل الظواهر المقلقة كظاهرة تسلط الأجانب على المغرب،حتى انه يمكننا كتابة تاريخ اجتماعي للمغرب في زمنه انطلاقا من انتقاداته. ولم تخلُ انتقاداته من استشراف للمستقبل كما هو الأمر عند حديثه عن اليهود.[12]

أ.اهتمامه بالقرآءات.

كان التطواني يهتم بتفسيره بتحقيق القراءات السبع ، ونسبتها لشيوخها؛ ففي قوله تعالى:(فلما أنبأهم بأسمائهم).(البقرة 33). يقول:(أَنْبِئْهُم).اتفقوا على على تخفيف الهمزة، لأن ورشا لم تدخل في قاعدته، والسوسي من المستثنيات عنده، وأبدلها حمزة في الوقف ياءً، ثم اختلفعنه في ضم الهاء وكسرها، وكلاهما صحيح،والضم أقيس بمذهبه.[13]

[11] – نصرة الإسلام.التطواني . ج 1. ص.42.

[12] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1. ص 29.

[13] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 83.

وفي قول الله تعالى :(بئسما شروا به أنفسهم)(البقرة 90) . يقول : (بيسما) هذه متصلة ،وأبدل الهمزة ياء ورش والسوسي،والباقون بالهمز،ولم يبدل ورش همزة وقعت عيناً إلا في (بيس)(البير) (الذيب)، وحقق ما سوى ذلك .[14]

وفي قول الله تعالى :(لا يؤاخذك الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)(البقرة 225) . يقول :قرأ ورش بإبدال الهمزة واواً وصلاً ووقفاً. وحمزة وقفاً لا وصلاً .والباقون بإثباته فيهما .ولاخلاف عن ورش في قَصره .وكل من يمد حرف المد بعد الهمزة استثناء؛أي :قصدتم من الإيمان إذا حنثتم .[15]

كان التطواني يُظهر اهتماماً بالرسم القرآني عند يتكلم في القرآءات القرآنية، وكان أحياناً يربط بين القرآءات القرآنية والوجوه النحوية ،وهذا يدل على إتقانه للقرآءات العشر،وتمكنه من علم ضبط الرسم القرآني .

فعند تفسيره لقول الله تعالى :(أولئك يرجون رحمت الله)(البقرة 218) وقد كتبها في تفسيره بالتأ المربوطة (رحمة) كونه يقرأ على طريقة ورش. يقول : (رحمت الله) مما رسم بالتاء،وهو سبع مواضع؛ الأول هذا،والثاني : (إن رحمت الله قريب من المحسنين)(الأعراف 56)،والثالث :(رحمت الله وبركاته)(هود 73) . والرابع : (ذكرُ رحمتِ ربِّكَ)(مريم 2)،والخامس :(آثر رحمت الله)(الروم 50)،السادس :(أهم يَقْسِمُونَ رحمتَ ربِّكَ)(الزخرف 32) .السابع بها أيضاً :(ورحمت ربك خير مما يجمعون)(الزخرف 32) .[16]

ب .الجانب الفقهي في تفسيره .

بالرغم من أن التِّطواني مالكي المذهب إلا أنه كان ينظر إلى جميع المذاهب من نفس المسافة دون تعصب؛ ويظهر ذلك من حواراته المذهبية من خلال مناقشاته الهادئة في آيات الأحكام فقد كان يقف عند الدليل بعد استعراض الأقوال المذهبية . بل ويجمع أحياناً أماكن الإتفاق بين المذاهب الأربعة .

[14] – نصرة الإسلام .التطواني . ج 1 .ص 106 .
[15] – نصرة الإسلام .التطواني . ج 1 .ص 189 .
[16] – نصرة الإسلام .التطواني . ج 1 .ص 184 .

ففي قوله تعالى:(لايؤاخذكم الله باللغوا في أيمانكم)(البقرة 225) .يقول: اللغو كل كلام ساقط لايعتد به،وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد بالحلف .قال ابوحنيفة:لاكفارة فيه .وعند الشافعي:هو ما يجري على اللسان من غير قصد للحلف؛نحو:لاوالله وبلى والله. قال مالك في الموطّأ: أحسن ما سمعت في ذلك أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يتيقن أنه كذا ثم يوجد بخلافه(يظهر له خلافه) فلا كفارة فيه، وإنما على من حلف أن لايفعل الشيء المباح له فعلُهُ، ثم يفعله،أو أن يفعله ثم لا يفعله؛ مثل أن يحلف لايبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك، أو يحلف ليضربنَّ غلامه ثم لايضربه.[17]

كما يورد النقاش والآراء المذهبية عند تفسيره لآيات الأحكام ، ويورد قول مذهبه الراجح وأقوال غيره من المذاهب ،وقد يميل إليها أحياناً. ففي تفسيره لقوله تعالى:(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)(البقرة 238) يقول (الصلاة الوسطى):أي الفُضلى وهي صلاة العصر.أو الصبح أو الظهر أو المغرب أو العشاء. وعند أبي حنيفة(رضي الله عنه) هي العصر. قال النسفي:وعليه الجمهور.وعندنا (المالكية) هي الصبح. قال خليل: وهي الصبح. وحقق العارف بالله سيدي عبد الله بن أبي جمرة (وهو مالكي) في (حاشيته على مختصر البخاري) أنها هي العصر والصبح معاً مستنداً على حديث النبوي الشريف: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الصبح).[18]

إن كان التِّطواني يميل إلى رأي فقهي خارج المذهب المالكي؛ يقوم بداية بذكر أدلة ذلك الرأي وحده دون أدلة الخصم، ثم يقول: وذهب إلى العمل بهذا الرأي (الراجح في نظره) المذهب الفلاني. ففي تفسيره لقول الله تعالى:

(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من شيء فلأنفسكم وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم وأنتم لاتُظلمون)(البقرة 273)

يقول التِّطواني: وفيه إيماء إلى أنَّ الكفر لايمنع الإنسان من صدقة التَّطوع على أهل الكافرين،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (في كل ذي كبد رطب صدقة). ولما نزلت الآية أعطاهم الأنصار(رضي

[17] - نصرة الإسلام .التطواني. ج 1. ص 189.
[18] – نصرة الإسلام .التطواني. ج 1. ص 199.

الله عنهم) وتصدقوا عليهم .واختلف في الواجب؛فجوز أبو حنيفة صدقة الفطر على أهل الذمة،وأباه غيره .

ج .التفسير الإشاري في تفسيره .

إن تفسير" نصرة الإسلام في إخراج مقامات الدين من القرآن" ينتمي إلى ما يسمى التفسير الإشاري، مثلما فعل أبو العباس، أحمد بن محمد ابن عجيبة (ت 1224هـ) في تفسيره "البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد" . فقد طغى الجانب الإشاري على تفسيره، وكان التركيز الأكبر عليه، والتطواني يميل بتفسيره إلى الاختصار والتلخيص في جانب المنقول، بل متى ما استطرد في الحديث أثناء تفسيره بالظاهر، فإنه يلامس الجانب الإشاري؛ ولعل هذا راجع إلى التطواني ينتمي للطريقة الشاذلية الدرقاوية العجيبية، وهو ما يتضح بكتابته لثمان وتسعين بيتا من القصيدة العينية الشهيرة للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ)؛ وهذا واضح بالحضور القوي لأرباب العرفان فيه ، مثل شيخه عبد القادر ابن عجيبة (ت 1313هـ)، وعبد العزيز الدباغ (ت 1132هـ) .

ويرى التِّطواني أن أصل التَّصوف امتدادٌ لمدرسة الصُفَّة، ففي قوله تعالى : (للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله) .(البقرة 275) .يقول التطواني : نزلت في أهل الصُفَّة وهم أربع مئة من المهاجرين (رضي الله عنهم)، أُرصِدوا لتعلم القرآن الكريم،والخروج مع السَّرايا، وزهدوا في الدنيا حساً ومعنى .وهم الصوفيَّة الأولون الذين نوَّه الله بقدرهم . .[19]

كما تضمّن التفسير الإشاري في تفسيره ملخصاً لمضمون الإسلام والإيمان والإحسان ؛ فكل آية عنده تفهم من منظور "الإسلام" ثم "الإيمان" ثم "الإحسان" . وهي مراتب الإيمان وكأنه يحاول أن يبينّ أن القرآن يخاطب في نفس الآية المسلم على حسب درجة إيمانه ؛ أكان مسلما أم مؤمنا أم محسناً .

فيقول في تفسيره الإشاري تحت هذه القاعدة في قوله تعالى :

(وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(البقرة 285)

[19] – نصرة الإسلام . التطواني .ج 1 .ص 234 .

يقول: (وقالوا سمعنا)؛أي: أجبنا ظاهراً وباطناً ؛ في مقام الإسلام،ما أمرنا به فيه. وفي مقام الإيمان، ما أمرنا به فيه، كلٌّ من فُتح عليه فيه. وفي مقام الإحسان، ما أمرنا به فيه، كلٌّ من فُتح عليه فيه سماع طاعة وقبوله جميعاً.[20]

ونأخذ مثالاً آخراً لنظريته في تقسيم الخطاب في الآية إلى مقامات الإسلام والإيمان

والإحسان. يقول الله تعالى:

(وقوموا لله قانتين)(البقرة 238).

(وقوموا لله): في الصلاة يا أهل **مقام الإسلام** مطيعين. (وقوموا لله) في الصلاة يا أهل **مقام الإيمان** قانتين خاشعيت بقلوبكم، مخلصين ذاكرين له سبحانه في القيام والركوع والسجود وكل حركة؛ لأنَّ القنوت هو الذكر أيضاً. (وقوموا لله) بالله وفي الله وإلى الله في الصلاة يا أهل **مقام الإحسان** ؛قانتين قنوتاً معنوياً فانين عنكم في الله،وعن صلاتكم في صلاة الله،وعن وجودكم في وجوده.[21]

وفي تفسيره للمقامات الثلاثة في قول الله تعالى:

(ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)(البقرة 286)

يقول: (إن نسينا) شيئاً من طاعتك وسهينا عنه بقلوبنا وجوارحنا في مقام الإسلام؛ في صلاة أو زكاة أو حج، وهو أشد حجاباً وغفله، وقد سنَّ الله فيه في الصلاة السجود. (إن نسينا) شيئاً من طاعات القلوب في مقام الإيمان؛ من خوف أو رجاء أو شكر أو صبر أو توبة أو زهد (إن نسينا) شيئاً من طاعات الأرواح في مقام الإحسان...[22]

كما يتكلم بلسان علماء التصوف أثناء تفسيره، فعندما يسلك النهج الإشاري يستخدم مصطلح الحقيقة والشريعة والظاهر والباطن وأمثالها. ففي تفسيره لقول الله تعالى:

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)(البقرة 35)

[20] – نصرة الإسلام. التطواني. ج 1. ص 245.
[21] – نصرة الإسلام. التطواني. ج 1. ص 200.
[22] – نصرة الإسلام. التطواني. ج 1. ص 248.

يقول التطواني :وبلسان الحقيقة، وقلنا :لكل تجلٍّ تجلٌّ لاهوتي ومظهر جبروتي :يا آدم، يا قبظة الجبروت اسكن أنت وزوجك، باطن القبظة جبروتي وظاهروها ملكوتي. (الجنة) : جنة الشهود والعيان الأصلية، (وجنة الزخارف) الحسيّة[23]

. (ولاتقربا هذه الشجرة) :شجرة الحجاب عن الله، برؤية السوى والأغيار والأكوان، فما نصبت لك الكائنات لتراها؛ولكن لترى فيها مولاها. (ولاتقربا هذه الشجرة) فتصيرا (من الظالمين) :من المحجوبين عنه برؤية غيره، ولا غير معه قط في مملكته. (فأزلهما الشيطان) : النفس والهوى وأقران السوء عنهما عن جنة الشهود والعيان، فأخرجهما مماكانا فيه من رفع الحجاب. (وقلنا اهبطوا) لعالم الحجاب وسجن الدليل والبرهان. (بعضكم) من المتفقِّرَة الجاهلين،والعلماء الذين على ظاهر الشريعة متجمدين، والجبابرة الغافلين ،والقراء المداهنين. (لبعض) :وهم سائر العارفين. (عدو) :حسداً وعناداً،بدعوى أن ولاية المعارف انقطعت تعجيزاً للقدرة الإلهية.[24]

د .موقفه من محمد عبده ورشيد رضا والمعتزلة .

أولاً :موقفه من محمد عبده وتلميذه رشيد رضا .

كان التِّطواني في تفسيره لا يخرج عن آراء أهل السنة والجماعة سواء أكان في المسائل الفقهية أو العقلية. وكان يَرُدُّ على الحركة التفسيرية التي كان يقودها محمد عبده ورشيد رضا في مصر ، وصرّح بالرد عليهما في بعض العقليات ذات الأصول الاعتزالية.كما كان التِّطواني يجادل الآراء الاعتزالية كلما عرض لهم رأياً أو قولاً .

بالرغم من مواقفه لمخالفيه من المفسرين كمحمد عبده ورشيد رضا وعلماء الاعتزال إلا أنه لم يكن يحمل عليهم بل كان يظهر الاحترام لمخالفيه ؛ وإن كان يردُّ عليهم ردَّ قاسياً؛ ففي تفسيره لقوله تعالى :

(ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) .(البقرة 286) .

---

[23] – ويظهر أن التطواني نقل هذا المصطلح من ابن عجيبة صاحب تفسير البحر المديد؛ فقد كان يرى ابن عجيبة في هذه الدنيا جنتان مختلفتان الأولى (جنة المعارف) والثانية (جنة الزخارف)، وكلٌّ من الجنتين تبدأ في الحياة الدنيا ، وتستمر كذلك في الآخرة بالبعد المادي والمعنوي في إدراكها للجنة

Mahmut AY, *Kur'an'ın Tasavvufi Yorumu*, İnsan Yayınları, İstanbul, 2011, s. 465.

[24] – نصرة الإسلام .التطواني .ج 1 .ص 85 .

يقول: وأما ماقاله الشيخ عبدو (رحمه الله) وتلميذه راشد رضا (يقصد رشيد) هنا في هذه الآية فقد أفرطا وفرَّطا، وكادا أن ينكرا القدر.

يروي رشيد رضا عن محمد عبده في ذلك فيقول:قال الأستاذ الإمام: ومن الناس من قال أن الخطأ والنسيان لامؤاخذة عليهما؛لأن الناسي والمخطئ لا إرادة لهما فيما فعلاه نسياناً أو خطأ، ومثل هذا الكلام يوجد في كتب الأصول والكلام. وإذا رجع الإنسان إلى نفسه وتأمل الأمر في ذاته علم أن الناسي يصح أن يؤاخذ، فيقال له:لم نسيت؟!. فإن النسيان قد يكون من عدم العناية في الشيء وترك إجالة الفكر فيه، وترديده في النفس ليستقر في الذاكرة، فتبرز عنده الحاجة إليه؛لذلك ينسى الإنسان ما لا يهمه ويحفظ ما يهمه. فإذا كان النسيان غير اختياري فسببه الذي بيّنّاه آنفاً اختياري، ولذلك يؤاخذ الناس بعضهم بعضاً بالنسيان لاسيما نسيان الأدنى لما يأمره به من أعلى.[25]

يقول التطواني:وأما ما استشهدَ به من قوله تعالى:

(ولقد عهدنا إلى آدمَ من قبلُ فنسيَ ولم نجدْ لهُ عزماً)(طه 115).

لقد فهم منه أن الله آخَذَ آدمَ على ذنبه ثم تاب عليه، فليس كما فهم؛ لأن الأنبياء معصومون،ليسوا كغيرهم.وإنهم إذا عاتبوا أنفسهم بشيء خطر في بالهم نزل الوحي أو القرآن به، موافقة لما يخطر في قلوبهم.

وأما ما استشهد به من آية (أتتك آياتُنا فنسيتَها)(طه 126).فالنسيان هنا المراد به الترك.أي:تركت العمل بها،لا النسيان الحقيقي، الذي هو موضوع آية التفسير.

ويستدل التطواني لرأي أهل السنة الذي يقول به بحديث يرفعه كل من ابن ماجه وابن المنذر وابن حبان والدارقطني والبيهقي (في السنن) إلى ابن عباس:

(إن الله تجاوز عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[26].

---

[25] – تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار.محمد رشيد رضا.دار المعرفة.بيروت لبنان.ط / 2.من غير تاريخ.ج 3.ص 148–149.

[26] – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.اعتنى به وجمعه أ.ى.وِنْسنْك. دار الدعوة.استانبول 1988م.ج 1.ص 95.ج 2.ص 42. رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان، وابو داود والترمذي وابن ماجه في كتاب الطلاق؛ بألفاظ قريبة. ج 1.ص 95 ، ج 2.ص 42.

ويرد على تضعيف صديق حسن خان القنوجي صاحب تفسير(فتح البيان في مقاصد القرآن) لهذا الحديث؛ واصفاً إياه بأنه:

ليس في درجة الحفاظ الذين يضعفون لهؤلاء الأئمة،بل وليس بحافظ على الإطلاق ولا متقن كل الإتقان؛ فكثير ما تختلط عليه في تفسيره روايات القرآءات.[27]

كما لايسلم رشيدرضا من نقد التّطواني؛ ويسميه في تفسيره بـــ(راشد رضا)، وفي معرض ردّ الشيخ رشيد رضا على المحدّث القَرافي في تحسينه للحديث المرفوع عن ابن عباس؛ يدافع عن القرافي ويشنِّع على رشيد رضا.

وقد قال القرافي معلقاً على هذا الحديث :فإنه وإن لم يصح إلا أن معناه متفق عليه؛ ومن ذلك العفو عن عثرات ذوي الهيئات،فإنه يثبت في الشرع إقالتهم عن الزلات وأن لا يعاملوا بسببها معاملة غيرهم، ففي الحديث:(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم).وفي حديث آخر: (تجاوزوا عن عقوبة ذوي المروءة والصلاح).[28]

قال رشيد رضا: وقد أخطأ القرافي في "فروقه" بما كتب في هذا المقام خطأً ندعوا الله أن يغفر له[29].

قال التطواني مخاطباً رشيد رضا: بل ما كتبه شيخنا الإمام القَرافي (رحمه الله ورضي عنه) ووافق فيه الآية والحديث،وسلمه جميع الأئمة إلى وقته وقلدوه. لايضرُّه اعتراضك عليه.ويُقال لك: كادت البعوضةُ تكسرُ عظم فيل. وغفر الله لنا ولشيخك ولسائر المسلمين آمين.[30]

المثبتون لهذا الحديث :ابن حبان ؛ حيث أخرجه في صحيحه ، وابن حزم. والحاكم في المستدرك .والنووي حيث قال في الأربعين (رقم 39) وفي الفتاوى(138) حديث حسن، وقال في الفتاوى:(حجة). وقال في المجموع(ج 6. ص 309):رواه البيهقي بأسانيد صحيحة. وابن حجر؛ حيث قال عن حديث ابن عباس : رجاله ثقات،. والسيوطي في الجامع الصغير وزياداته حديث رقم (2611)؛ وقال في"الأشباه والنظائر"(ص.339): فهذه شواهد قوية ، تقضي للحديث بالصحة. وكما صححه العلامة أحمد بن الصديق الغماري ؛ حيث ألَّف رسالةً بعنوان:" شهود العيان ، بثبوت حديث " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان " كما صححه محمد التبريزي في"مشكاة المصابيح" حديث رقم(6293)وقال:صحيح لطرقه.

[27] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 249– 250.

[28] – الفروق.أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي. تحقيق:خليل المنصور. دار الكتب العلمية.بيروت.لعام 1418هـ–1998م.ج 1.ص 302.

[29] – تفسير المنار.محمد رشيد رضا.ج 3.ص 150.

[30] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 250.

ثانياً: موقفه من أفكار الاعتزال.

يقف التطواني عند الآيات التي فسرها المعتزلة في مسائل الكلام؛ ويفسرها منتصراً لآراء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية معارضاً المعتزلة في تلك الأفكار. وفي رده على المعتزلة في مسألة مرتكب الكبيرة؛ يقول في تفسيره لقوله تعالى:

(فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء).(البقرة 284).

يقول:فيغفر بفضله لمن يشاء أن يغفر له من المؤمنين وإن كان ذنبه كبيراً، أو يعذب بعدله من يشاء؛ طائفة من المسلمين الذين ورد فيهم الوعيد،وهم أهل الكبائر أو بعضهم. بل له أن يعذب على الذنب ولو كان صغيراً، حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم، ويعذب جميع الكفار لا محالة؛لأنه سبحانه لايغفر أن يُشرك به. وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه، وهو صريح في نفي وجوب التعذيب.[31]

رابعاً:جانب الإصلاح السياسي والاجتماعي في تفسيره

يُعدُّ التطواني مصلحاً اجتماعياً ؛ فنراه في ثنايا تفسيره يشدد على الإصلاح الوظيفي في الدولة، وينصح العلماء بعدم إصدار الكتب والفتاوى المضللة والباطلة للناس في المجتمع ، ويحذر القضاة من الظلم في الحكم.ويقول التطواني في تفسيره لقول الله تعالى:

(ولا تلبسوا الحق بالباطل).(سورة البقرة 42).

فإنها تعني (أيضاً) علماء السوء من قضاة ومفتين وغيرهم ؛ الذين يقبلون أحكام النوازل الشرعية في الدعاوي بين الخصوم ، فيصير الظالم ذا حق والمظلوم ذا باطل لما يقبضونه من الرشاوي.(ومنهم) العلماء الظلمة الموصوفون مع الكفار، المتناصرين على استئصال الإسلام، الذين ألفوا التآليف الضالة. أو يقولون :إن دولة الخلافة الإسلامية التُّركية ليست على صواب في جهادها أعداء الدين.

(وسبب ذلك) نصرة لمتبوعيهم الكافرين المعاندين؛ لما يقبضونه منهم من المرتبات والنياشين(الأوسمة) الصليبية، فقد اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وبئس ما يشترون. طهّر اللهُ منهم

[31] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 244.

البلاد والعباد ومن متبوعيهم.وجمع كلمة الإسلام وقلوب أهل الإسلام على نصر دينه وإعلاء كلمته مع الدولة التُّركية، ونصرها وغنمها وجمعنا بها ومتعنا بها ومتعها بنا" .[32]

نجد أن التطواني في تفسيره لسورة الفاتحة أنه قام بتفسير آية (إياك نعبد) من منظور علم الاجتماع السياسي، وقد تكلم عن أن السلطان خليفة الله في الأرض وأن ولي الأمر يجب أن يكون من المسلمين لا من سواهم؛ فقال:

السلطان خليفة الله في أرضه ؛ فقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).(النساء:59). أي:لا من غيركم. وهذا يكون في باب جنود مُلك الإسلام قبل فجئ العدو (مفاجئة العدو للمسلمين)، فإن فجأ العدو فالكل جند (حتى النساء). وطاعتهم في تعلم سياسة الملك ، وحكمه وصنائعه ، وحرفه وتجاراته وزيادة الجيش عددَه وعُدَّتَه على الدوام ، بقدر ما يقهر به عدو الدين.

كان التِّطواني حريصاً على عملية الإصلاح السياسي في أركان الدولة الإسلامية،وكان يحذر من الفساد والظلم الذي حلَّ في مؤسسات الدولة، وكان يتبرأ من كل من يضع يده بيد المستعمر.كما امتدت دعوته الإصلاحية لتشمل جميع فئات المجتمع.ففي تفسيره لقول الله تعالى :

(ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).(البقرة:9).

يقول: هذه الاية تشير إلى كل من اتخذ من المسلمين من دول الكفر وأفرادها أولياء من دون المؤمنين، ومن أخذ منهم راتبا أو عطاءً ، أو نيشانا أو مرتبة ليطلعهم على عورات المسلمين ، أو يخضع لهم بلداً أو قبيلة أو إقليما أو رجلاً ، أو ينصر رايتهم وكلمتهم على الإسلام ورايته ، بأن لهم ملكا صوريا على الإسلام ، أو وزيرا أو قائداً أو قاضياً أو مفتياً أو كاتباً ، وبذلك ينفذ لهم أمر كفرهم بين المسلمين . وقد يكون شيخ طريقة يغرّون به المغرَّرين من عباد الله ، أو عسكريا يقاتلون به الإسلام . وإن قدر يهرب المرء ويهاجر بدينه في أرض الله ... و" إنا لله وأنا إله راجعون .[33]

[32] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 87–88.

[33] – نصرة الإسلام.التطواني.ج 1.ص 73.

خامساً: الجانب السياسي في تفسير التِّطواني

كان التطواني من عائلة لوقش وهي عائلة عريقة وغنية ومعروفة حتى في دولة الأندلس، ولم يكن ينقصه مرتبة سياسية ولا دينية ؛ فقد كان قاضياً كما كان له مكانة دينية في الزاوية الدرقوية. وكانت لتلك العائلة امتدادٌ ومكانة دينية وسياسية في المغرب العربي، ما أريد قوله هو: أن التطواني في تفسيره الذي يحمل اللون العثماني لم يكن يسعى لعلة غائية من السلطان العثماني من تفسيره هذا، مع العلم أنه لم يسافر في حياته إلى استانبول، وكان المُحَرِّك له في هذا التفسير هو الوازع الديني فقط.

لقد كان التطواني يستغل كل فرصة وجدها لتوجيه نداءه للخليفة العثماني موالياً لدولة الخلافة من جانب ومصلحاً لما يرى فيه الخلل من جانب آخر؛كونه كان يرى أن الدولة العثمانية في أزمة حقيقية بسبب الأخطار الخارجية والداخلية التي كانت تحلُّ بها ؛ فيقول في مقدمته الأولى لسورة الفاتحة:

فيا خليفة الإسلام الغازي السيد التركي ورجال دولته وسائر رعيته شرقا وغربا النَّجاء النَّجاء . تيقظوا وارجعوا إلى ما تركككم عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم). (تمسكو بالقرآن) بجوارحكم وقلوبكم وأرواحكم وأسراركم ، تسعدوا وتنصروا وتَغلبوا وتفوزوا بخيري الدارين ، ولن تنتصروا على عدوكم إلا بالرجوع إليه.[34]

وقد جعل التطواني للقيام بدولة الإسلام تحت ظل خليفة الله مقامات منها باب حب الله ورسوله وباب ترتيب بيت المال ،وباب ترتيب الوزارات والعمال والقواد والرؤساء كباراً وصغاراً، والتحجير(وإلزامهم) عليهم في العمل بالكتاب والسنة، ومجانبة البدعة و"النصيحة لله ولرسوله " ولكتابه ولدينه وسلطانه وخاصة المسلمين وعامتهم ، والرفق بالضعفاء والأرامل والأيتام ،وجميع عباد الله،وبالدواب المستعملين وبكل شيء.[35]

كما كان التطواني يعادي من عادى دولة الخلافة العثمانية، فنراه في أكثر من موضع يحمل على الخارجين عليها وعلى المعادين لها. فيقول:

[34] – نصرة الإسلام.التطواني. ج 1.ص.43.

[35] نصرة الإسلام.التطواني .ج 1.ص 54

لقد بدَّعوا دولة الخلافة الإسلامية المباركة التُّركية ، حين قامت تحارب عن حياة الدين نصرة لكلمة ربِّ العالمين .كيف أمكنهم أن يخدعوا الغشماء الغافلين؟ وكيف قاموا بنصرة الكافرين على استئصال المسلمين؟ وأشدهم خطراً من سافر على أنه حاج الى مكة ، وفي الحقيقة كان ذهابه لمحاربة واحتلال الحرمين الشريفين. فردهم الله خائبين مدحورين آيسين خيبهم الله في الدنيا والآخرة وقطع دابرهم ودابر متبوعيهم ونصر دولة الخلافة الإسلامية القائمة بجهاد الدين وانصارها.جعلنا الله وعقبَنا وانصار الدين خصوصا دولة الخلافة من اهلها آمين. [36]

ونرى أن التطواني يُشبِّه مخالفي الدولة العثمانية وأعداءها بالسّحرة، ويحذر المسلمين من علماء السوء الذين يسعون للفتنة وإضعاف دولة الخلافة المسلمة؛ فيقول:

ولهذا كلما قويت دولة إسلامية ظهرت في رعيتها السنة و التخلق بأخلاق القرآن ، ومات السحر وأهله . وكلما ضعفت ظهر السحر وأهله وفسدت الرعية . فلما جاء سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – أنزل الله تعالى في القرآن تبرئة سليمان – عليه السلام – من السحر وردّاً على اليهود في قولهم " انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً. [37]

لقد كان التطواني يرى أن الغرب يتَّبع في سياستة السلم والحرب لإخضاع الدول العربية، وسبب ذلك هو الإجهاز على دولة الخلافة العثمانية. فمن لا يستطيع الغرب إغراءه بالمال والمنصب يُحارَب. لذا ظهر طبقة من رجالات الدولة والموظفين ممن يروجون لسياسة الاستعمار الأوروبي. لذا يسعى من خلال تفسيره لإيقاظ ضمائر المتاجرين بالأوطان، ففي قول الله تعالى:

(قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .(البقرة 15) .

يقول التطواني :إخواننا المسلمون الموظفون المستخدمون مع الكفار من المغاربة، وإن لم يقولوا لهم إنا معكم في الكفر،يقولولن لهم إنا معكم في المعاونةوالمرافقة والمقاتلة والنصيحة ورفع رايتهم، وربما استحلفونهم تارةً أنهم لا يخونونها ولا يغشُّونها،إلا النادر منهم،فالله يحكم بيننا وبينهم أجمعين،وهو خير الحاكمين،أو يشفيهم ويعافينا أجمعين. و(إنما نحن مستهزئون) بهم، بإظهار الإيمان لهم. وهذه حالة غالب الموظفين من المغاربة لايقولونها. [38]

[36] – نصرة الإسلام .التطواني. ج 1. ص 65.
[37] – نصرة الإسلام .التطواني ج 1. ص 111.
[38] – نصرة الإسلام . التّطواني. ج 1. ص 73– 74.

ويقول في موضع آخر عن استعمار أوروبا للدول العربية واستغلال ثرواتها:

وقد اجتمع الآن جبابرة أوروبا وحاربوا الإسلام شرقاً وغرباً، وقاتلوه قتالاً صليبياً حسّاً ومعنى بسياسة كاذبة باطلة ، وأرادوا أن يردوا أهل الإسلام عنه ، ويستأصلوهم (المسلمين)، ويستأصلوا أموالهم وأراضيهم بالغصب والتعدي والضرائب الكاذبة ، وعملوا على قتل الشبان والكهول بحروبهم وإدخال الصبيان لمدارسهم ،وإفساد عقائدهم باستخدام رؤساء أقوياء وعلماء وأمراء وشرفاء في مراتب مملكتهم الكفرية. ولا مخلص لأهل الإسلام من هذه الداهية إلا بمراجعة دينهم بالجهاد الذي وجب، وبذلك يجب الجهاد حتى على النساء ، كما يلزم قتل كل الجواسيس والعيون وأنصار الكفر كائنين من كانوا.[39]

كما نلاحظ أن التطواني كان يعاني من هجمة الأسبان على بلاد المغرب ، ويرى انهزام الدول المسلمة أمام المستعمر بات أمراً واقعاً لا محال. كما كان يعاني من تآمر الأعداء على الدولة العثمانية، فلا غرابة من حزنه الشديد على وضع الأمة، ويصف تلك الفترة بقوله:

وهاهم طغاة الكفار الإسبانيول لا يزالون يقاتلون المسلمين ، ويحتلون قراهم وأسواقهم وطرقهم وسائر أراضيهم .وكلما ملكوا (سيطروا على) طائفة ردوهم عن دينهم، وقاتلوا بهم إخوانهم المؤمنين، وجعلوهم عيونا لهم يأتون بأخبار عورات الإسلام. فمن مات من هؤلاء المرتدين مات كافراً ، ذلك لأنه قتل في صف الكافرين. وكان يقاتل عنهم فـ " أولائك حبطت أعمالهم " نسأل الله العفو والعافية .[40]

كما ينادي للصلح بين المسلمين والحفاظ على دولة الخلافة الإسلامية، إذ هي ليست مرتبطة بعرق أو بنسب، فالمسلمون بخير مادامت إدارة دولتهم بِأيديهم سواء أكان الحالكم أموياً أم عباسياً أم عثمانياً، فلا فرق بين من يحكم مادامت الحكومة تحكم بكتاب الله تعالى وتـُحَكِّمَ شريعته. ويرى أنه لايجوز لأي مسلم كان أن يقف أمام سياسة الدولة العثمانية. ومن يحارب الدولة العثمانية يكون بذلك يسعى لهدم دولة الخلافة الإسلامية. ويشير إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى:

[39] – نصرة الإسلام.التطواني ج 1.ص 183.

[40] – . نصرة الإسلام.التطواني ج 1.ص 184.

(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم نبيهم موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون) .(البقرة :243) .

يقول التطواني : تدل على أولاد الملوك من الشرفاء والعرب وأتباعهم وعلمائهم. إذ رأوا الدولة التركية زادها الله نصراً وظفرا وعزا وتأييدا .فقد قامت الدولة العثمانية بالجهاد لإعلاء كلمة الله ولنصرة دين الله ، ولحفظ ملك خلافة الإسلام بمشارق الأرض ومغاربها، ودعا الله بها المتناصرين على قطع الدين في آخر الزمان .[41]

سادساً : انضمام التتطواني لحركة الإصلاح الوطني

كان للتطواني نشاطاً سياسياً ووطنياً، وكان ولاءه لسياسة الجامعة العثمانية التي كان لها نشاطا في المغرب كذلك، فمجلة "الصباح" التي كانت تصدر في طنجة آنذاك،كانت تنشر المقالات التي تعرف بالدستور العثماني. كما تحولت جريدة "الحق" من ولائها للأسبان الى ولائها للدولة العثمانية ، وقد استمرت في الصدور حتى عام 1914م. وقد أسقط أهل تطوان حكومة مولاي عبد العزيز قبل أن يسقط الاستعمار الفرنسي سلطة مولاي عبد الحفيظ ، وبعدها اتخذّ التطواني قرارا سياسيا ودينيا في نفس الوقت ، وقام بالهجرة إلى أرض الدولة العثمانية ، وكان ذلك في يوم الاحتلال الاسباني لتطوان سنة 1331هـ الموافق 1913م. كما خرج معه بعض كبار علماء فاس إلى أرض الخلافة العثمانية ؛ لأنهم يرون حرمة الجلوس في بلد يحكمه الكافرون ، ويرون بوجوب الهجرة للعيش بدولة الخلافة بدافع العاطفة الدينية .[42]

سابعاً :رسائل التطواني إلى الدولة العثمانية من خلال تفسيره.

قرر التطواني أن يجاهد بقلمه ، وأن يكون جهاده تحت لواء دولة الخلافة العثمانية ، فامتلأ تفسيره بعبارات تدل على محبته الشديدة وثنائه على دولة الخلافة العثمانية فقد كان يقدم النصائح خوفاً على صرح الخلافة من الزوال .؛فيقول :

[41] – نصرة الإسلام .التطواني. ج 1.ص 205.

[42] – نصرة الإسلام .التطواني. ج.1. ص.14–15

ارجعوا إلى ما تركتكم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصراط المستقيم ؛ وهو القرآن ، وخليفة واحد بعد خليفة.[43]

أ. أسباب الهزائم التي لحقت بالدولة العثمانية برأي التطواني

كان التطواني يحاول فهم سبب هزائم العثمانيين الخارجية (في جبهاتهم على الحدود) والداخلية. فيقول:

وهناك سبب فيما يقع للدولة العليَّة من الخذلان والانكسار في بعض حروبها ، و(سبب ذلك) تعطيل تمشية سياستها على مراد الشريعة في حال السلم.[44]

ويقول في مكان آخر: ذلك أن الله تعالى خلق بعض أراضي ممالك الإسلام صالحة ومهيأة من حيث نفسها دون مدد خارجي للهجوم على العدو في كل حين ، وبعضها صالحة مهيئة للدفاع عن الإسلام بالأصالة والهجوم بتكلف (بصعوبة) وتعسر ومشقه؛ فالأولى المدينة المنورة التي اختارها الله دار الهجرة وسكنى في الحياة والموت للرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء من بعده ؛ لإحاطتها بممالك الإسلام من كل جهة. والثانية الآستانة العلية لخلافة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنها محاطة بشوكة الكفر والعناد والبغضاء من كل جهة.

ب. رأي التطواني بكرسي الخلافة.

يقترح التطواني جعل كرسيين للخلافة ؛ الأول في المدينة المنورة، وكرسي الخلافة الثاني في استانبول؛ فيقول :

سيحصل بهذا الأمن للحجاج والراحة والحركة ، ويحضر لدى الخليفة كل سنة جميع أهل الأقاليم بلا دعوة ولا طلب ، ويعرضون عليه أحوال أمرائه وجيوشه ودِيَانَةِ كل إقليم ومُوَالاتِهِم للمؤمنين أو الكافرين ، فيفصل فيهم بما أمرهم الله تعالى. وأيضا سيعسر على أمراء أعداءه ملاقاته ، وتكون لازمة بواسطة خليفته بالآستانة ، وفي ذلك فسحة عظيمة وعزٌّ لخليفة الإسلام ، وإمكان مشاورة جميع الأمة إن احتاج إلى ذلك".[45]

[43] – نصرة الإسلام. التطواني ج. 1. ص. 19

[44] – نصرة الإسلام. التطواني ج. 1. ص. 19

[45] – نصرة الإسلام. التطواني. ج. 1. ص. 40–41

ويقترح التطواني على الساسة في الدولة العثمانية نقل عاصمة الخلافة الى المدينة المنورة ؛ فيقول:

فلو أعدّت كرسياً آخر لخلافتها بالمدينة المنورة على الدوام، ثم تطلق سككها في جميع الجهات، لو فعلت ذلك لجمعت بين الهجوم والدفاع ، وتصير قوتها قوتين، كما أنه مع الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون الخليفة حاضراً لديه، متأدبا، خاضعاً بين يديه على الدوام. ومن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم خرجت هذه الخلافة التي أحاطت بجميع أصناف المؤمنين بعربها وتركها وسائر الناس ؛ قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة).(الحجرات.10). وأيضاً حُرمة الخليفة تزيد وتعظم بسكناه لدى الرسول صلى الله عليه وسلم. وهل تحترم الأمة الآستانة احترامها الحرمين الشريفين.؟![46]

ولما اكتفت الدولة العلية (العثمانية) بإقامة كرسي الخلافة بالآستانة دون المدينة المنورة، رضيت لنفسها وللإسلام أن تكون دولة دفاعية لا هجومية، وتركت الحجاز للشريف وأعراب البوادي يفعلون فيه مايشاءون من الاستبداد.[47]

الخاتمة:

لقد عاش المفسر التطواني في فترة هجمة الاستعمار الأسباني على المغرب العربي وبالأخص لمدينة تطوان سنة 1331هـ الموافق 1913م. كما عاش في الفترة الاخيرة للدولة العثمانية. لذا نراه في تفسيره يغتنم كل آية لدعوة المسلمين الى الصلح والوحدة ،كما يدعوا كذلك إلى وجوب وقوف كل المسلمين تحت ظل الخلافة العثمانية.

ولم يُحقق هذا التفسير لحد الآن ، وقد لقي إهمالاً لعدم توفر أي معلومات عن المفسر التطواني ؛ بسبب تقصُّد المؤرخين المعاصرين له من عدم ترجمة اسمه بين العلماء بسبب مواقفه السياسية. وقد قامت جمعية تطوان بالاشتراك مع عدّة باحثين بالبدء بتحقيق هذا السفر العظيم، وقد طُبِع منه أول جزئين بعد تحقيقهما سنة 2010م. وسأقوم بدراسة شاملة لجميع هذا التفسير بأبعاده السياسية والفكرية إنّ شاء الله تعالى.

[46] – . نصرة الإسلام .التطواني ج.1. ص.19.

[47] – نصرة الإسلام .التطواني. ج.1. ص.40–41

المراجع:

1– تحقيق النصوص ونشرها.عبد السلام هارون.مكتبة الخانجي القاهرة. الطبعة السابعة 1998م

2 – تفسير نصرة الإسلام في اخراج مقامات الدين من القرآن.لأبي محمدعبد الوهاب لوقش الأندلسي التطواني للمحقق أ.د.جعفر السُّلمي.الطبعة الأولى.تطوان.أسيمرا.المغرب.2010م.

3– تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار.محمد رشيد رضا.دار المعرفة.بيروت لبنان.ط/2.من غير تاريخ.

4– تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور.. دار سحنون للنشر والتوزيع.الطبعة التونسية تونس. 1997 م.

5– تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره.د.عبدالمجيد دياب.دار المعارف الطبعة الثانية. القاهرة. 1993م.

6– عمدة الراوين في تاريخ تطاوين. أبو العباس أحمد الرَّهوني ت 1353هـ.تحقيق.أ.د. جعفر بن الحاج السلمي.الطبعة الأولى منشورات جمعية تطوان.أُسيمر. 2001م.

7– الفروق.أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي. تحقيق:خليل المنصور. دار الكتب العلمية.بيروت.لعام 1418هـ–1998م.

8– المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.اعتنى به وجمعه أ.ى.وِنْسنْك. دار الدعوة.استانبول 1988م.

9– Mahmut AY, *Kuranın Tasavvufi Yorumu*, İnsan Yayınları, İstanbul, 2011.